البدايات

والدتى من شوام مصر، كانت فنانة تزوجت أبى من حلب وكان ذلك فى وقت عرفت فيه مصر أوج جمالها بينما كانت أوروبا تعيش حروبا ضارية. "ماما كانت عاشقة للفن والبيانو والتطريز رزقوا بأربع بنات بين ولدين. كان بيتنا جميلا جدا اشتراه والدى من جامعة طليان من فينيسيا. هكذا نشأنا فى هذا الجو الذى نمى فينا حب الجمال منذ الصغر. كان البيت على طريق الحرير؛ (تقولها مبتسمة) وفى مدرسة الناصرة كانت اللغة العربية تدرس عن طريق معلم لن انساه أبدا. فهو الذى نبهنى إلى روعة الخط العربى وإمكاناته الواسعة للزخرفة.

بعد إتمام الدراسة بالمدرسة الداخلية فى لبنان، رفضت العودة إلى حلب واخترت العيش بالقاهرة عند خالتى التى كانت تصطحبنى إلى المزادات والمعارض والمتاحف والحفلات الموسيقية، فى مصر وفى الخارج كل ذلك رسخ بداخلى طبعا - رويدا رويدا - الإحساس بالجمال. على فكرة، ما أتحدث عنه ليس مرتبطا بأى شكل بالمال. ففى هذا الوقت مثلا تم التأميم فى مصر وفقدنا البيت غير أن التربية والبيئة كانتا قد أحدثتا مفعولها فى نفوسنا، إذ كنا قد تأسسنا على أن أهم قيمة فى الحياة هى العلم.

عندما تزوجت عشت فى لبنان، وبعدها فى مصر حدثت الحرب الأهلية وشاءت الأقدار أن أكون فى الإسكندرية مع أولادى حينما راح إسماعيل زوجى ضحية لرصاص القناصة فى بيروت وهو يعبر الطريق.. وهنا حدث زلزال جذرى فى حياتى كان أطفالى صغارا وأنا فى سن الشباب ولن أنسى مساندة أصدقائى فى مصر. زلزال آخر تأثرت به حياتنا وأعمال زوجى كان حرب الخليج لكنى تمسكت بالقول المأثور «تفاءلوا بالخير تجدوه».

بدأت أساعد صديقاتى فى تأثيث بيوتهن واختيار مايناسبهن حتى حانت فرصة وجود شقة خالية عام ١٩٩١ فبدأت مع شريك فى تأسيس «ألف» من لا شىء عدا الحماس هكذا افتتحنا صالة «ألف» لاستقبال الفنانين لعرض أعمالهم كصالون فنى لتشجيع الرسامين».

الرسوخ

بنفس السلاسة التى تتحدث فيها نجيبة ميسر عن خطواتها الأولى تأخذ فى شرح وتحليل وجهة نظرها فى كينونة الفن بشكل عام وفيما يخصها كفنانة مبدعة.

«بانتسابى لتلك المنطقة التى تجمع سوريا، لبنان، العراق، مصر، وجذورى المتفرعة فيها وتربيتى وعلمى المزدوج الذى جمع بين الشرق والغرب من أطرافه ومع كل الزلازل التى اخترقت حياتى، كنت أبحث عن واحة وعن إنقاذ وكنت كذلك أريد التعبير عما عرفناه جميلا وأخذ فى الاندثار. الصورة التى نحن فيها اليوم فى العالم غير مرضية وما أفعله فى «ألف» هو طريقى لمناهضة الإرهاب طريقتى لإثبات أنه مازال فى جعبتنا مخزون فنى يقف شامخا أمام محاولة حصرنا فى أعمال للعنف نحن منها براء.

«ألف» عملية للبحث عن الزمن الجميل (لا عن الزمن الضائع كما يقول بروست) لأنه مازال فى منطقتها مهد كل الحضارات - مايسمح بتقديم أعمال فنية رائعة هى نتاج تداخل كل الثقافات العربية المحيطة بنا. إن الفن هو القاسم المشترك فى اللغة التى يمكن أن تعبر بها جميعا عن الجماليات التى تربطنا سويا بعيدا عن السياسة، فالفن هو اللغة التى لاتعرف الحدود ولنا فى ذلك ينابيع من التراث لاتنضب. إن الحضارة الإسلامية لم تكن قط نتاج بعض الفرسان الذين خرجوا من الصحراء بل هى مكونة من طبقات من المعرفة أخذت تتكون من الفتوحات.

إن سائح اليوم يزور فى بلادنا المتاحف والبازارات التجارية وبينهما منتجات مستوردة أما «ألف» فإنها تحاول المحافظة على الفنون المصرية والتى دخلت مصر واستقرت بها، إننا نجد فى البازارات منتجات مقولبة لايحاد عنها، والمطلوب هو الاختراع والتكملة والإضافة والتجديد، بعيدا عن التعليب والتنميط. لقد كان والدى من كبار رجال صناعة النسيج فى حلب التى تعتبر نقطة تفصل بين الشرق والغرب، بين فينيسيا والصين، بين أوروبا وآسيا، أنا شرق أوسطية تماما. و«ألف» بالنسبة لى مصنع للأفكار مكان يعبر عن أحلامى مكان يلمس لكل الأوجاع التى تحاصرنا والصعوبات التى تواجهنا إنه فسحة فرح.

أعزى نفسى حسب القول : «مايعلو طير إلا وحط» وهى سنة الحضارات غير أن الطير سوف يعلو من جديد إن الانحطاط الحادث اليوم يكربنى وأنا فى واحتى مع الصناع المهرة أحاول الحفاظ على تراثنا الجميل.